

## حروب أميركا الارتجالية في الشرق الأوسط

الشرق الأوسط حروب  
أميركا العيش...

حروب أميركا النزقة في الشرق الأوسط التي يحاول الرئيس الحالي دونالد ترامب الانسحاب من جرحها المفتوح، كانت بمجملها وصفة لخسائر مزمّنة، ليس فقط لسمعة ومصداقية الولايات المتحدة وحلفائها في العالم، بل للشعوب التي دفعت الثمن الأغلى في محاولة الخروج من عنق زجاجة الاستبداد طويل الأمد، لتجد نفسها في عمق انفجار طاغفي له حجم الدمار الذي أحدثته تخزين نترات الأمونيوم إلى جوار إهراءات قمح حاضرة الشرق الأوسط العاصمة الشهيدة بيروت.

فهل تبدّدت آمال التحرر من الاستبداديين العسكري والطاغفي في دول الثورات العربية وعلى يد حلفاء وداعى هذه الثورات هذه المرة وعلى رأسهم الولايات المتحدة، أم أن صحة نتائج العقل العالمي ستسمح بولادة فجر جديد ونظيف لا دخان فيه ولا أشلاء أحلام ولا ركاب مدن!

معظم دساتير الديمقراطيات في العالم. وقد خطّ واضع الدستور وأحد المؤسسين للنظام السياسي الجمهوري الديمقراطي توماس جيفرسن على هوامشه عبارة "من المستحيل ألا تشعر بان عملنا مسخّر من أجل الإنسانية جمعاء".

قصور الرؤيا الغربية بعامّة، والأميركية بشكل خاص، التي ضلّت الطريق في سعيها نحو إيجاد بدائل شرعية عن الأنظمة الأوريفالكية إثر ثورات التحرر الشعبية في العالم العربي، هو الحرّض في استعمار النار الغافية تحت رماد 1400 عام من الاقتراق المذهبي في الإسلام، وكان في تاجيح هذه الصدامات المذهبية نوع من الإيقاظ غير المتعمد للفتنة النائمة، وها هي واشنطن تزّرع بيدها بيضة أفعى إيران في العراق ليتعمد السم الزعاف إلى سوريا ولبنان، والذي لن تكون خاتمته الحزينة اغتيال الهاشمي وانفجار مرفأ بيروت المنيعة.

الأقدر على ردع ارتدادات الفوضى التي يخلفها تهاوي أنظمة الحكم الشمولية في غير بلد عربي، وسوريا ليست بالمثل البعيد.

فسوريا القابعة منذ نصف قرن وبنيف تحت مقلصة حكم البعث السوري وبعثيه، لم تستطع إثر تسع سنوات من الحرب الشرسية أن تصل إلى مبتغى ثورتها ونوارها من المدنيين العزل الذين خرجوا بشعارات مدنية أيضا لا رموز فيها للإقصاء أو النثار الطائفي أو التصفية على الهوية السياسية.

ثورة السوريين قامت على مبادئ سامية للحرية والكرامة والعدالة الإنسانية، وهي لا تفرق في نيل مقصدها عن ثورات التحرر في العالم، ولا تنأى في عمقها الإنساني عما كتبه الأبناء المؤسسون للولايات المتحدة في دستورهم العريق الذي يقارب وثيقة تاريخية تكاد تكون من أهم ما أنتجت وصدرت الولايات المتحدة إلى الشعوب، وما زالت بصماته تظهر ساطعة على

لجات الإدارة الأميركية المرتبكة إثر السقوط المدوي لصدام ونظامه الذي كان الأسرع والأكثر درامية من المتوقع، إلى التقيض الطائفي القابع على الحدود الشرقية للعراق منتظرا لحظة الانتقام الأعظم، سلمت واشنطن مفاتيح بغداد لقوى سياسية تدبّر للولي الفقيه بالفطرة السياسية، لتبدأ على الفور حملاتها في نثت أسباب الفرقة والانقسام بين آل البيت الواحد على مرجعية الهوية المذهبية، وكان بالنسبة لتلك القوى المتعصبة الطريق الأقصر والأسهل لتحكم البلاد على أنقاض مظالم الدكتاتور الزائل وبعثه الشوفيني المنفرد.

صورة الشرق في ذهنية الحكومات المتعاقبة على أروقة البيت الأبيض، لم تكن لتتضح بعد لتعكس على مراتها بجلاء صور أهل الفكر والسياسة المتعلمة والمعتدلة التي تعتقد أن "الدين لله والوطن للجميع"، وهم

واشنطن إثر هجمات الحادي عشر من سبتمبر الإرهابية في العام 2001 على أراضيها، بل إن الشرق الأوسط بأسره كان في حالة من الإستقطاب، والحر، وترقب للقادم الأسود، منذ وصول المتطرفين من أصحاب السود من العمامات في إيران إلى سدة الحكم العام 1979، وتسيّد شريعة الولي الفقيه وانتقاضها على الحكم لأول مرة في التاريخ السياسي للمنطقة، وبمساعدة ودعم غربيين لا يمكن تجاهلها البتة. من نافلة القول أن الفهم الغربي القاصر لظروف الشرق الأوسط الجيوسياسية، ولتاريخ الأنظمة التوتاليتيرية فيه وما خلفته من أنقاض جمهوريات لا مؤسسات فيها سوى مؤسسة بيت الدكتاتور، من جهة، ولحال شعوبها - فريسة الإحباط والانكماش - خارجة لتوها من عسف أنظمة قابضة أعنت في تجهيل وتضليل رعاياها لتتقى في حالة تفرد أبدي بالسلطة والنفوذ والموارد، من جهة أخرى، قد أودى إلى قرارات خاطئة اتخذتها الدول المتدخلة والناذرة صاحبة الجيوش القابعة على الأرض وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأميركية.

فمذ اقتلاع نظام صدّام حسين انتهجت إدارة الرئيس الأميركي جورج بوش الابن سياسة طائشة وانفعاكية في الاستجابة للفرغ السياسي الذي أحدثته سقوط أعمدة حكم قاشي منخور الأطراف في العراق. ارتات واشنطن في حينها أن يكون البديل هو التقيض العائدي لعدوها اللدود صدّام حسين، متعامية عن الدور الذي كان من الممكن أن تضطلع به القوى التنويرية والمدنية الديمقراطية كبديل وراغ للبلاد في تلك المرحلة الدقيقة من التعافي السياسي والاجتماعي، وكان هذا أس قصور الرؤية والتدبير السياسي في واشنطن.

لم تكن حروب الولايات المتحدة الأوسط، ثم انسحابها من التزاماتها الأخلاقية مخلقة وراعها كما هاتلا من صنوف الفوضى السياسية والإرهاق المجتمعي، وحدها المسؤولة عن مآلات تلك الحروب التي أسرعت إليها

مرح القابعي  
كاتبة سورية أميركية

هشم رصاص قاتل مجهول وجه مستشار مكافحة الإرهاب في العراق، الباحث هشام الهاشمي، وهو يغادر مبنى أحد التلفزيونات المحلية إثر ظهور أخير له على الشاشة معلقا على الوضع السياسي الذي الت إليه حكومة بغداد في ظل الانقسام الطائفي والانتخابات السياسية اللذين يعاني منهما البلد منذ العام 2003، وهو لم يبرأ منه حتى تاريخ كتابة هذه السطور.

وكان الهاشمي قد عزّد قبيل أن يتوجه إليه رجل مسلح ببندقية عبر نافذة سيارته وهو خلف المقود ليرديه قتيلا، كتب في تغريدة أخيرة "تأكدت الانتقاسات العراقية يعرف المحاصصة الذي جاء به الاحتلال بين شيعة وسنة وكرد وتركمان وأقليات، وبالأحزاب المسيطرة الشيعة والسنية والكردية والتركمانية التي أرادت تأكيد مكاسبها عبر الانقسام، وبالأحزاب الدينية التي استبدلت التنافس الحزبي بالطائفي".

منطق الإلغاء الذي أودى بحياة الهاشمي ليس ثقافة مستجدة في العراق ومجملته الجغرافي الذي يغلي على نار مرمل ابتداء من القامشلي وإدلب وصولا إلى مرفأ بيروت، بل هو نتاج تراكمات تاريخية عززتها ولادات قصيرية عسيرة لأحزاب ومجموعات طائفية عنيفة ومتطرفة تدبّر لعرف انتمائها المذهبي وليس إلى القانون والدولة.

لم تكن حروب الولايات المتحدة الأميركية الارتجالية في الشرق الأوسط، ثم انسحابها من التزاماتها الأخلاقية مخلقة وراعها كما هاتلا من صنوف الفوضى السياسية والإرهاق المجتمعي، وحدها المسؤولة عن مآلات تلك الحروب التي أسرعت إليها

المسؤول عن مآلات تلك الحروب التي أسرعت إليها

## أردوغان يقطف ثمار عقد من الخيارات السيئة

ديندياس يوم الخميس، ووجه رسالة دعم بعد ذلك. وقال نتنياهو في تغريدة "أوضحت باننا نتعامل بجدية مع أي عمل عدواني في شرق البحر المتوسط على يد أي طرف، بما في ذلك تركيا". وكانت اليونان وإسرائيل اتفقتا على التعاون في مشروع خط أنابيب لنقل الغاز الإسرائيلي إلى أوروبا عبر البحر المتوسط العام الماضي.

وكرر الاتحاد الأوروبي دعمه لليونان بعد اجتماع وزراء خارجية الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي يوم الجمعة. ووصف بيان صدر عقب الاجتماع تطورات الأسبوع بـ"تدهور خطير للوضع الأمني"، ودعا إلى الحوار والتفاوض بحسن نية بدلا من "الإجراءات أحادية الجانب وتعبئة القوات البحرية".

وقال الاتحاد الأوروبي إنه سيعيد "إجراءات المزيد من الإجراءات المناسبة في حالة عدم تراجع التوترات". ومؤخرا، اتخذت فرنسا خطوات ضد التحركات التركية، حيث عززت عدد سفنها الحربية في البحر المتوسط وفي حال حدثت مواجهة مسلحة في المنطقة، سواء بين تركيا واليونان أو فرنسا، فمن شبه المؤكد أن تجد تركيا نفسها وحدها في الساحة الدبلوماسية.

يبدو أن تركيا ستصل إلى نقطة يتعين عليها فيها دفع ثمن عقد من الخيارات السيئة، حيث فقدت جميع أصدقائها في الخارج وتدهورت الديمقراطية وحقوق الإنسان داخلها. وأصبحت القوات المسلحة التركية جيش أردوغان الخاص، وأدوات مسرحياته المحلية. لكن، وفي هذه المسرحيات، يبدو ممثل أجنبي واحد إلى جانب أردوغان، وجسده إدارة دونالد ترامب التي قد تتغير إثر انتخابات نوفمبر.

بالولايات المتحدة جنزيا، إذا فاز المرشح الديمقراطي جو بايدن بالرياسة في نوفمبر.

وبينما تظل الولايات المتحدة صامتة إلى درجة كبيرة بشأن تصرفات تركيا، تبدو أنقرة معزولة أكثر.

شبه وزير الخارجية التركي السابق، يشار ياكيش، سياسات حزب العدالة والتنمية الحاكم وسلوكه بما حدث خلال حروب البلقان في 1912، والتي انتهت بكارثة للإمبراطورية العثمانية حين خسرت أكثر من 80 في المئة من أراضيها الأوروبية وحوالي 70 في المئة من سكانها الأوروبيين. كما التقى رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو مع



رفض جيفري تلك التقارير حول استقالته خلال المؤتمر الصحافي، وعلى الرغم من سؤاله مرتين، إلا أنه لم يدن الضربات الجوية التركية الأخيرة التي قتلت اثنين من كبار الضباط العسكريين العراقيين على الأقل، مما أعطى تركيا ضوءا أخضر آخر في المنطقة المثيرة للجدل.

وكانت وزارة الدفاع الأميركية قد أعربت يوم الخميس عن قلقها إزاء التطورات في المنطقة، بعد أن شاركت فرنسا واليونان في تدريبات عسكرية مشتركة. لكن المتعاونون التزم الصمت بشأن تصرفات تركيا الأخيرة.

ومع ذلك، قد تتغير علاقة أردوغان

لكن بومبيو لم يذكر واحدة من أكثر القضايا إثارة للجدل في ذلك اليوم، حيث تجاوز موضوع شرق البحر المتوسط تماما. ومع ذلك، قالت مصادر في واشنطن لموقع أحوال تركية إنه على الرغم من أن ديندياس كان سعيدا بالاجتماع الذي عقده مع بومبيو والتأكيدات التي تلقاها، إلا أن القراءة تتكيف مع موقف أنقرة من خلال عدم إدانة تركيا على وجه التحديد لتصرفاتها في شرق البحر المتوسط.

وأوضح بعض مراقبي تركيا واليونان في واشنطن أن جماعات الضغط المختلفة المؤيدة لرجب طيب أردوغان في الحكومة الأميركية مؤثرة حتى الآن.

وتتمثل البيروقراطية الحكومية الموالية لتركيا في وزارة الخارجية، طرفا من جماعات الضغط إلى جانب نوح الرئيس الأميركي دونالد ترامب القوي المؤيد لأردوغان، الذي برز في فيينا مرة أخرى. ومع ذلك، تبقى التساؤلات حائرة حول المدة التي يمكن أن تستمر فيها هذه النظرة المؤيدة لأردوغان. لكن هناك من يعتقد أن بومبيو سئم من موقف وزارة الخارجية المؤيدة لتركيا والمناهض للاكراه وقد يتحرك لإجراء بعض التغييرات في الوزارة في الأيام أو الأسابيع المقبلة.

ويتغير اجتماع بومبيو المقرر مع وزير الخارجية التركي مولود جاويش أوغلو يوم الأحد في جمهورية الدومينيكان، واحدا من الاجتماعات التي يجب أن ينتخب إليها.

في هذه الأثناء، شارك السفير جيمس جيفري، وهو المسؤول عن الملف السوري في الخارجية الأميركية، في أول مؤتمر صحافي له منذ أن أصدر مستشار الأمن القومي السابق جون بولتون مذكراته في يونيو التي وصف فيها بأنه مناهض للاكراه ومؤيد للاتراك.

وفي وقت لاحق، أجرى بومبيو مكالمة هاتفية مع وزير الخارجية اليوناني نيكوس ديندياس، وقال إنهما ناقشا "العلاقة الثنائية القوية بين الولايات المتحدة واليونان والحاجة الملحة لتقليل التوترات في شرق البحر المتوسط"، دون أي إدانة محددة للإجراءات التركية في المنطقة.

كما التقى بومبيو بوزير الخارجية النمساوي ألكسندر شالنبيرغ في فيينا صباح الجمعة. وخلال المؤتمر الصحافي، أشار شالنبيرغ إلى الوضع في شرق البحر المتوسط، وقال إن "النمسا قلقة بشأن الوضع الخطير الذي يمكن أن يتصاعد بسهولة" وإن هذه القضية "ملحة للغاية وذات أهمية كبيرة بالنسبة للجميع وخاصة بالنسبة للاتحاد الأوروبي".

تركييا يبدو أنها ستستل إلى نقطة يتعين عليها فيها دفع ثمن عقد من الخيارات السيئة، حيث فقدت جميع أصدقائها في الخارج وتدهورت الديمقراطية وحقوق الإنسان داخلها

وانتهى بيان شالنبيرغ، شديد اللهجة، بالقول إن على الاتحاد الأوروبي إعادة تقييم علاقته مع تركيا في ضوء تصرفاتها الأخيرة "في البحر المتوسط من ليبيا وسوريا إلى شمال العراق، وإعادة تحويل موقع تاريخي مشهور عالميا، آيا صوفيا، إلى مسجد".

إلهان تانير  
كاتبة في موقع  
أحوال تركية

يوم الخميس، حث عضوا مجلس الشيوخ الأميركي روبرت مينينديز، وكريس فون هولدين، ووزير الخارجية الأميركية مايك بومبيو على التعاون مع الاتحاد الأوروبي لوقف جهود التقيب التركية عن الغاز والنفط في شرق البحر المتوسط.

ووصف عضوا مجلس الشيوخ جهود تركيا بغير الشرعية، وطالب بفرص عقوبات شاملة مشتركة بين الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي على "قطاعات رئيسية من الاقتصاد التركي".

وقد استمر التصعيد بين الأسطول اليوناني والتركي، لدرجة اصطدام سفينتين يوم الخميس. وزعم البلدان أن سفينة الطرف الآخر هي التي لحقت بها أضرار جسيمة في الحادث، وكانت مصادر من الدفاع اليوناني اعتبرت أن ما وقع يوم الخميس كان حادثا.

وتتمسك تركيا بفكرة عدم شرعية حدود المياه الإقليمية اليونانية في بحر إيجه، فهو يشمل الجزر اليونانية التي يقع بعضها على بعد بضعة كيلومترات من الساحل التركي. لكن اليونان تقول إن الجزر تقع على جرفها القاري، مما يسمح بتمدد المياه الإقليمية والمجال الجوي للدولة العضو في الاتحاد الأوروبي.

وكانت جزيرة كاستيلوريزو اليونانية الصغيرة، التي تقع على بعد 580 كيلومترا من البر اليوناني الرئيسي وكيلومترين من ساحل تركيا الجنوبي أحدث نقطة مواجهة.

لكن، وعلى الرغم من التصعيد ورسالة أعضاء مجلس الشيوخ، التزمت وزارة الخارجية الأميركية وحكومة البلاد الصمت بشأن سلوك تركيا.